

حيّ المهاجرين الدمشقيّ: تاريخ اللّجوء الكريتيّ وإرث حسين ناظم باشا | مؤنس بخاري



اكتشف تاريخ تأسيس حيّ المهاجرين في مدينة دمشق لإيواء اللاّجئين الكريتيّين المسلمين، وتعرّف إلى سيرة الوالي حسين ناظم باشا وأبرز منجزاته العمرانيّة التّنظيميّة الباقية.

تتشابك صفحات التّاريخ العمرانيّ والديموغرافيّ لمدينة دمشق مع مسارات اللّجوء إليها في نهايات القرن 19 م \ 13 هـ. وتأتي قصّة مسلمي جزيرة كريت دليلاً على هذه التّحوّلات، إبّان تهجيرهم عن ديارهم ووصولهم إلى الشّام بحثاً عن مستقرّ جديد. هناك، استقبلتهم المدينة بتوجيهات الوالي {حسين ناظم باشا}، الذي أسّس لهم حيّ المهاجرين على سفوح جبل قاسيون.

لا تقتصر هذه التّدوينة على تتبّع مسار تلك الهجرات، بل تتناول الأثر العمرانيّ والتّنظيميّ العميق الذي تركه {حسين ناظم باشا} في شوارع دمشق ومرافقها، ليبقى أثره شاهداً حيّاً على مرحلة فاصلة من تاريخ المدينة.



scenic chania with snow capped white mountains

مأساة مسلمي جزيرة كريت

حتى نهاية القرن 19 م \ 13 هـ كان نصف أهل جزيرة كريت مسلمين، ثم باستيلاء اليونان على الجزيرة؛ طردتهم عنها فنزحوا. فأين انتهى بهم اللجوء يا ترى؟

تحت الحكم العثماني، بلغت نسبة المسلمين في جزيرة كريت نحو 47٪ من إجمالي السّكان. وشكّل هؤلاء المسلمون نسيجاً متجذراً في الجزيرة، وكانت غالبيتهم من أصول كريتيّة محلّيّة اعتنقت الإسلام باختيارها.

بعد تأسيسها، وزّعت اليونان السّلاح على الفلّاحين المسلمين، وحرّضتهم باستعمال أدوات بريطانيّة على إرهاب الفلّاحين المسلمين على أساس كون المسلم وافداً أو خائناً، فنزح من بقي منهم متجمّعين في المدن السّاحليّة الكبرى، وخلت منهم الأرياف.

وثّق الإحصاء العثمانيّ الرّسميّ عام 1881 م \ 1298 هـ تراجع نسبة المسلمين إلى 26٪ من سكّان الجزيرة، ما يعني إبادة حوالي 55٪ من الكريتيّين المسلمين؛ أي 21٪ من سكّان الجزيرة. كلّ هذا حدث في وقت ما داخل 60 سنة، ما بين 1821 م \ 1236 هـ و1881 م \ 1298 هـ.



حيّ المهاجرين في دمشق حوالي عام 1930 م

اللّجوء إلى دمشق وتأسيس حيّ المهاجرين

رحل النّاجون من الكريتيّين المسلمين على موجات خلال عقود، إلى أن اكتمل التّهجير العلنيّ عام 1923 م \ 1341 هـ، وانتهى بأغلبهم اللّجوء إلى دمشق. استقبلهم فيها الوالي {حسين ناظم باشا}، فأسكنهم حيّ المهاجرين الجديد شمال المدينة، إلى جوار حيّ الصّالحية؛ المؤسّس بالأساس من لاجئين فلسطينيّين نزحوا عن نابلس وجمّاعين قبلها بـ 4 قرون.

أسّس {حسين ناظم باشا} حيّ المهاجرين على سفوح جبل قاسيون إبّان فترة ولايته الأولى لدمشق، نحو عام 1900 م \ 1318 هـ، بهدف تأمين السّكن للّاجئين الوافدين من جزيرة كريت ومناطق البلقان. ومن هذه العائلات الدّمشقيّة الباقية إلى اليوم: آل الكريتي والكريتلي والكرتلي والمهاجر والزّوربا والخانيا والكندية، والبقية منهم تبدّلت أسماء عائلاتهم ذات الجذور اللّغويّة اليونانيّة أو التّركيّة إلى أسماء مهن دّمشقيّة، بموجب سياسة العثمّة وتطبيقاً لتنظيم أساس دفتريّ، واندمجوا في المجتمع الدّمشقيّ العامّ.



الصورة للوالي {حسين ناظم باشا}، من أرشيف الرحالة البريطانية كترود بل Gertrude Bell - الصورة مرممة ومطورة

نشأة {حسين ناظم باشا} وشخصيته

ولد {حسين ناظم باشا} في مدينة القسطنطينية، ونشأ في أسرة متنفذة وفُرت له تعليماً عالياً، فأتقن اللغات العربية والفارسية والفرنسية إلى جانب التركية العثمانية. واشتهر بمنصب والي دمشق عدة مرات، وترك بصمة شخصية واضحة في تاريخ المدينة الممتد.

امتلك شغفاً واضحاً بالعمارة والتنظيم المدني، ووجّه اهتمامه نحو تحديث البنية التحتية لمدينة دمشق انطلاقاً من رؤية عمرانية خاصة به. وكان رجلاً مثقفاً، يميل إلى القراءة ومجالسة الأدباء، وابتعد عن الانغلاق في قصره، مفضلاً التجوّل في أسواق دمشق والاطلاع على أحوال الناس مباشرة، حتّى رآه الناس دمشقياً خالصاً من منابت مدينتهم.

اشتهر بالصرامة والحزم في تطبيق القانون، وجمع بين الهيبة السلطانية والتواضع الشخصي. كما رفض استغلال منصبه للإثراء الشخصي، وعاش حياة بسيطة نسبياً مقارنةً بغيره من الولاة العثمانيين، وتوفّي في القسطنطينية عام 1927 م \ 1346 هـ تاركاً إرثاً عمرانياً وإدارياً يتذكّره الدمشقيون طويلاً.

فترات ولايته للشّام والمشروع السياسيّ

تولّى {حسين ناظم باشا} حكم الشّام 11 سنة وبعض الأشهر موزعة على 3 حقب،

- امتدّت فترة حكمه الأولى من عام 1897 م \ 1315 هـ إلى عام 1906 م \ 1324 هـ،
 - وتولّى ولايته الثانية بين عامي 1908 م \ 1326 هـ و1910 م \ 1328 هـ،
 - ثمّ عاد والياً للمرّة الثالثة عام 1912 م \ 1330 هـ لأقلّ من عام.
- تولّى {حسين ناظم باشا} حكم الشّام في حقبة نيّة الحكومة العثمانية جعل دمشق عاصمة التّاج العربيّ من الإمبراطورية العثمانية، إذ شجّع أمراء من البيت العثمانيّ فكرة تحويل السّلطنة العثمانية إلى مملكة التّاجين: التّاج التركيّ في القسطنطينية والتّاج العربيّ في دمشق. وتكرّست هذه الفكرة بقانون فدرلة العثمانية عام 1910 م \ 1328 هـ، إلّا أنّ انقلاب الباشاوات الثلاث عطلّ المشروع.



قصر المهاجرين، دار الوالي حسين ناظم باشا في دمشق

منجزاته العمرانية والتنظيمية في دمشق

أسس حيّ المهاجرين على سفوح جبل قاسيون في دمشق عام 1895 م \ 1313 هـ تقريباً لإيواء اللاجئين المسلمين الوافدين من جزيرة كريت والبلقان، وأشرف بنفسه على تخطيط شوارعه. وجّه عنايته أيضاً لبناء المستشفيات والمدارس، وأطلق مشاريع حيوية مثل جرّ مياه نبع الفيحة إلى بيوت دمشق وتطوير شبكة المواصلات.

اليوم، لا تكاد تمشي في شوارع المدينة دون التماس منجزاته، ومن أهمّها في دمشق:

- إنشاء سراي الحكومة (مكان وزارة الداخلية) عام 1900 م \ 1317 هـ.
- بناء مستشفى الغرباء (المستشفى الوطني) عام 1899 م \ 1317 هـ.
- إنشاء الثكنة العسكرية (مكان جامعة دمشق) عام 1897 م \ 1315 هـ.
- كهربة ترام دمشق وإنارة شوارع المدينة بالكهرباء (الترامواي) عام 1907 م \ 1325 هـ.
- تأسيس الخطّ البرقي والهاتف بين دمشق والمدينة المنورة (رمزه عامود المرجة) عام 1907 م \ 1325 هـ.

- بناء قصر المهاجرين (دار الوالي) نحو عام 1900 م \ 1318 هـ. اتُخذت قصراً لرئاسة الجمهورية حتى اليوم.
- جرّ مياه عين الفيحة إلى دمشق نحو عام 1905 م \ 1323 هـ.
- إقامة سُبُل للمياه في أحياء المدينة بعد انتشار وباء الكوليرا نتيجة شرب مياه الأنهار الملوثة عام 1903 م \ 1321 هـ.
- تسقيف الأسواق الكبيرة (القيساريات) بالحديد بدلاً من الخشب منعاً لانتشار الحريق نحو عام 1898 م \ 1316 هـ.



حيّ الصالحية في دمشق

شهادات التاريخ وإرثه الباقي

جاء في كتاب ثَوَار صنعوا الاستقلال لنشأت جميل شاكر صفحة 61 أنّ الدمشقيّين يذكّرون {حسين ناظم باشا} بأعماله وزيارته لسوريا بعد أن تقاعد، إذ تولّى الحكم في سورية 3 مرّات، وأُشاد سراي الحكومة ومستشفى الغرباء والثكنة العسكرية في عهده. كما أنشأ الخطّ البرقيّ والهاتف، وبنى له داراً في حيّ المهاجرين، وجرّ مياه عين الفيحة، وأقام سبلاً للمياه بعد انتشار وباء الكوليرا نتيجة شرب مياه الأنهار المجرّثة، وسقّف الأسواق الكبيرة منعاً لانتشار الحريق.

بعد انقضاء أكثر من 125 عاماً، لا يزال السائر في أرجاء دمشق يصادف معالم عمرانيّة تعود إلى المرحلة التي حكم فيها {حسين ناظم باشا}، برغم اشتغال آل الأسد جهمهم إزالة منجزات {حسين ناظم باشا} من معالم المدينة.

مصادر ومراجع

1. كتاب ثوار صنعوا الاستقلال، نشأت جميل شاكر. <https://archive.org/search.php?query=ثوار+صنعوا+الاستقلال>
2. أرشيف صور الرّحالة البريطانيّة كِترُود بِل، جامعة نيوكاسل. <http://gertrudebell.ncl.ac.uk>
3. النّطوّر العمرانيّ لمدينة دمشق في أواخر العهد العثمانيّ، أرشيف شبكة الأغا خان للعمارة. <https://www.archnet.org>
4. دراسات في التّاريخ العثمانيّ وحركة نزوح مسلمي كريت، منصّة المجلّات الأكاديميّة التّركيّة. <https://dergipark.org.tr>
5. معجم الأسر الدّمشقيّة وتاريخ العائلات الوافدة، المكتبة الوقفيّة. <https://waqfeya.net>

حيّ المهاجرين الدّمشقيّ: تاريخ اللّجوء الكريتيّ وإرث حسين ناظم باشا | مؤنس بخاري

web to read blog